اثر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في شعر الاستنجاد في المشرق في القرنين السادس والسابع الهجريين

ا.م.د محمد عويد ساير **م.م. كمال عبد ناصر**
كلية التربية للانسانيات-جامعة الانبار

المستخلص

يدرس هذا البحث اثر الظواهر الاجتماعية والاقتصادية في شعر الاستنجاد في المشرق في القرنين السادس والسابع الهجريين ، نظراً لسوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في تلك المدة ، فقد تطرق كثير من شعراء الاستنجاد إلى نقد المجتمع على ما فيه من أمراض اجتماعية وسوء الحالة الاقتصادية ، ومن الشعراء من وجهه نقده نحو الحكام الظالمين وسوء معاملتهم لرعاياهم ، هدفهم من ذلك إصلاح ما يمكن إصلاحه .

Abstract

This paper studies the social and economic issues in the poetry of help in the Islamic East during the sixth and seventh centuries AH. due to the bad social and economic conditions in this period. Many poets who wrote help poetry criticized society and its deteriorating social and economic conditions. Some of these poets directed his criticism to the injustice of the rulers to expose their maltreatment of the people.

كان المجتمع العربي في القرنين السادس والسابع الهجري خليطاً من الأعراق والقوميات والطوائف ، ففي بغداد صار عامتها من العرب والفرس والترك والنبط والأرمن والجركس والأكراد والكرج والبربر ، يؤلف العنصر العربي العدد الأكبر من هذا الخليط .[١]

وانقسم المجتمع على طبقتين اجتماعيتين متميزتين من حيث الغنى والنفوذ والجاه .[٢] اولهما : وتمثل الحكام والسلاطين والأمراء والأعيان والمتنفذين من كبار التجار والعسكر . وكانت معظم مواد الثروة حكراً عليهم . والاخرى : التي تمثلها فئات الشعب الأخرى من حرفيين وفلاحين وصغار الموظفين وهذه الطبقة كانت تعاني كثيراً من ويلات الفقر والجهل والمرض وكانت الفجوة الاقتصادية بين هاتين الطبقتين واسعة مما أدى الى تصدع الكيان الاجتماعي ، فاختل نظام توزيع الثروات الاقتصادية ، وانتشرت في البلدان الأمراض الاجتماعية .[٣] فشاع التحلل والغش والشعوذة .[٤] والقتل والسرقة والفساد .[٥] والفوضى الادارية فضلا عما شهدته المدن من كوارث طبيعية .[٦]

ويتصل الجانب الاجتماعي بالجانب الاقتصادي بشكل مباشر ، لان المجتمع أساس الدولة ، وعلى الدولة ان تنظم مرتزق الافراد وصناعتهم وتجارتهم وحرفهم ووسائل تعايشهم ، وآلامهم وطريقتهم في التنفيس عنها ، وآمالهم وحيلهم في بلوغها ، وعلاقاتهم العامة وصلاتهم الخاصة ونظام أسرهم . وتتعلق ايضاً بنهوض الدولة والجماعات والافراد ، أو تراخيهم في إنشاء المرافق العامة من أبنية وعمائر وجداول ومساجد ومنازه وغير ذلك .[٧]

وكان للظروف الاقتصادية والسياسية تأثير في الحياة الاجتماعية وتحديد سلوك الأفراد والجماعات ، فنتيجة لاستبداد الحكام ، وظهور طبقتين متناقضتين بسبب الغنى والفقر ، كان طبيعياً ان يلتجأ الناس إلى كثير من ألوان الكسب بطرق ملتوية أساسها اجتذاب المال من الخلفاء

وذوي المناصب الكبيرة ، وأهل الثراء ، عن طريق التملق والاستجداء ، والكسب الحرام ، ولهذا فقدت بعض الفضائل شيئاً من بريقها وسحرها في المجتمع .[٨]

وصور لنا الشاعر ابن المعلم الواسطي بعض مظاهر فساد الحكم وسوء الادارة في ابيات يشكو فيها جور الولاة والقضاة يقول .

واجعلوا يومه الذي هو فيه واذا مثل ما كان مدبراً بالامس
رمتم زيادة مالٍ من وكيلٍ فاجعلوا جل صحبه في الحبس قلعوا
ومحضرٍ وغلامٍ الناس مثل قلع الضرس
من لمال الايتام يحنو عليه اذهبوه ما بين أكل ولبس [١٣]

انا بين قاضٍ بالفساد ومقطع ويلي من الحجاج والطاعون [٩]

وقال يشكو ويتألم من قاضي الهرث .[١٠]

لله اقضية في الارض جارية بالهرث سرٌّ فضاء الله قاضيها
مضى ابوه وابقى شرٌّ باقية اعجب لمستقبل البلوى وماضيها [١١]

وقال في موضع أخر يشكو والي الهرث وقاضيها اذ جعلا من الهرث دار أذى يقول .

والهرث دار أذى لو لم يكن وطنا لكان لي في بلاد الله مضطرب
في ارضها لا سقاها الله من بلدٍ يمضي وال عسوفُ قاضٍ امره عجب
بها وهو معزولُ قضيته يا للشريعة ما للدين محتسب [١٢]

ويخيل إلينا الشاعر ابن المعلم سجل هذه المظالم وهاجمها في شعره . فلا أحد من يعينه على رد الظلم ، ولا يوجد من يستنجد به ، فقد تركوا الشريعة ونهج الدين جانباً ، فنراه يردد ويقول أليس فيكم من محتسب .

وهناك الشاعر هبة الله بن عبد الرحمن . يطلب من احد الوزراء ان ينقذ الدين ، فيستنجد به من ظلم القضاة الحاكمين في بغداد ، وكان من بين القضاة الظالمين قاضي يسمى بابن عرس يقول .

فهنا يصفه الشاعر بأنه سارق وليس قاضي وتجب عليه العقوبة ، فيحرض الوزير على ان يحبسه هو وزمرته الظالمة ، فهو يأكل أموال اليتامى بهتاناً وظلماً يقول .

فالشاعر يعبر من خلال بث الشكوى ، الاستنجاد بالوزير والاستغاثة به من ظلم القضاة ، فيقف مع الرعية يدافع عنهم ، فيعتبر الشاعر لسانهم الذي ينطق باسمهم فهو فرد من المجتمع وما

يا وزير الإمام في الحل والعقـ مسخ ـد لقد ضاع في اختيارك حسي
الناس في زمانك فأرا فتولى عليهم ابن عرس
انقذوا الشرع من يديه فقد اصـ ـبح من فعله في رمس
قد حوى جلده ثلاثين ألفا فخذها منه بأهون لمس

يؤذي المجتمع يؤذيه فيهاجم خصومه ويفصح عن أحاسيسه وأحاسيس مجتمعه وعدم التملق للحكام .

وذلك الشاعر هبة الله بن الحسين حين جاء إلى العراق شكا من ظلم الحكام يقول .

يا صدور الزمان ليس بوفر ما رأيناه في نواحي العراق
إنما عم ظلمكم سائر الخلق فشابت ذوائب الافاق [١٤]

اما الشاعر سبط بن التعاويذي فكان جريئاً في طلبه ، حين طلب من الخليفة جهاراً واستنجد به أن يدفع الأذى عن الناس ، وذكره بأنه مسؤول عن حمايتهم من كل حاكم عسوف وحرضه على رجل يقال له اسامة ، يقول .

تهتُم عَلى المُستَضعَفيـ وَغَدَوتُمُ ذا ـــــــنَ تَكَبُّـــــــراً وَاللّهُ أكبَـــــــر
قُـدرَةٍ لَكُـمُ صَـحائِفُ ريبَـةٍ فَفَتَكـــــــــتُمُ وَاللّهُ أَقـــــــــدَر
وَقَبـــــــيحُ آثـــــــارٍ عَلـــــــى تُجـــزَونَ فيهـــا يَـــومَ تُنشَـــر
أَعقـــابِكُم تُـــروى وَتُـــؤثَر (١٦)

إِلَيـــكَ أَميـــرَ المُـــؤمِنينَ قَضِـــيَّةً أعيـــذْكَ أَن تَلقـــى بِهـــا اللّهَ آثِمـــا
أَلَسـتَ أَمـينَ اللّهِ فـي الخَلـقِ واجِبـاً عَلَيـكَ لَهُـم أَن تَسـتَرِدَّ المَظالِمـا
أَفـي العَـدلِ أَن يُمسـي أُسـامَةُ ضـارِياً عَلـى أَخـذِ أَمـوالِ الرَعِيَّـةِ عازِمـاً
يَشُـنُّ عَلـيهِم كُـلَّ يَـومٍ إِغـارَةً وَيَنـزُرُهُم مِمّـا اِصـطَفوهُ الكَرائِمـا
وَأُقسِـمُ إِن أَمسـى وَأَصـبَحَ جَمَّـةً ذَخـائِرُهُ فـي الـنَفسِ وَالمـالِ سـالِما
بِأَنَّـكَ مـا هَـذَّبتَ بَغـدادَ مِـن أَخـي فَسـادٍ وَلا اِستَأصَـلتَ دَهـرَكَ ظالِمـا (١٥)

ويقف الشاعر أيضاً مع المستضعفين ليدافع عنهم ويهاجم الحكام الجائرين ويعلن سخطه ونقمته عليهم ويذم أخلاقهم واستعلاءهم على الناس ، ويصف قبح آثارهم بقوله .

وتصل الحال عند بعض الشعراء بان يبثوا شكواهم إلى السلطان في التوسل به ، ليخلصهم من الظلم ، فهذا يحيى بن النقاش يستنجد بأسد الدين شيركوه ، ويتوسل إليه في تخليص الرعية من جور يوسف بن الملاح لما له من أثار سلبية على المجتمع والناس ، وكان أسد الدين شِيركوه قد وَلّى الرحبة يوسفَ بن الملاّح الحلبي وآخر معه من بعض الضياع فكتب إليه: يقول .

كـم لـك فـي الرَّحبـةِ مـن لائـمٍ يـا أسـدَ الـدينِ ومِـن لاحِ
دَمَّرْتَهـا مـن حيـثُ دبَّرْتَهـا بـرأْيِ فَـلاّحٍ ومَـلاّحِ (١٧)

ويقول في يوسف .

يـا أَسَـدَ الـدين اغتـنمْ أَجْرَنـا وخَلِّـصِ الرحبـة مـن يوسُـف
تَغْـزُو إلـى الكفـر، وتغـزو بـه الـ إسـلامَ مـا ذاك بهـذا يفـي (١٨)

وأحياناً يقوم السلاطين والأمراء بإلقاء القبض على بعض الشعراء وزجهم في السجون لخلافات فيما بينهم ، أو لان هؤلاء الشعراء يسيئون للمجتمع في أشعارهم او لتعرضهم للحكام ، او لوشايات تصله عنهم . فيجد الشعراء أنفسهم مقيدين بالحديد في سجون مظلمة ولا يملكون في هذه الحالة إلا أن يستنجدوا بالأمراء أنفسهم ويستعطفونهم طالبين الرحمة والغفران والعفو والصفح عنهم ، فينظمون قصائد يمزجون فيها بين الحكمة والمديح ، وعرض لحالتهم المزرية في الحبس ، عسى ان يرق لهم ويطلق سراحهم ، ومن ذلك قول الشاعر الحاجري يشكو حاله إلى الأمير وهو مرمي بالسجن ، وعليه أن لا يصدق الوشاة لأنهم كاذبون في نقلهم الكلام وقولهم الزور ، يقول .

قَـد آنَ أَن أَشـكو إِلَيـكَ وَتُنصِـفا وَلَأَنـتَ أَجـدَرُ أَن تَـرِقَّ وَتَعطِفـا
مَـوتُ الفَتـى سِـجنٌ فَكَيـفَ وَفُرقَـةٌ خَطبـانِ يـوهي منهُمـا جَلـدُ الصَـفا
مَـولايَ اِشـفَيتَ العِـدا بِجَفـاكَ لـي سَـل قَلبَـكَ القاسـي عَلَـيَّ أَمـا اِشـتفى
بَلَـغَ الوُشـاةُ مُنـاهُمُ فـي السَـعيِ بـي وَلَقَـد وَشَـوا زوراً إِلَيـكَ وَزُخرُفـا
قـالوا سَـفاهاً قَـد هَفَـوتَ بِزَلَّـةٍ فَلِمـا أُلامُ وَلـي لِسـانٌ قَـد هَفـا

لا تَتَّهِمنـــــي فـــــي هَـــــواكَ بِزَلّـــــةٍ مـا كـانَ لـي ذَنـبٌ إِلَيـكَ سِـوى الوَفـا [١٩]

وصل الشاعر إلى حالة يرثى له وهو مقيد بالأغلال ومطرح بالسجن الذي أثقل كاهله وشق عليه تحمله ، لم يجد سوى الأمير يستعطفه ويستنجده لخلاصه من هذا الوضع الذي لا يمكن على أي إنسان تحمله ، فنفيسة مكتبة خزينة ومحطمة ، لا يرى من يستعان به سوى ذلك الأمير ، فهم صاحب الأمر ويده خلاصه ، فيشبه الشاعر ذلك السجن بالموت فلا فرق بين الأمرين ، ثم يوجه كلامه نحو الأمير بان الوشاة هم الذين نكلوا به ، فأقوالهم سفيهة وكلامهم زور ، فلا تشميت بالأعداء ، فان من شيمتي الوفاء والإخلاص .

وينظم النشابي قصيدة وهو مسجون يخلطها بالحكمة ويسلي نفسه بالصبر لما أصابه ، فليس من مجير يستجير به سوى الصبر فهو عاقبته وسبيل نجاته ، وان الدنيا عنده لا تعدل شي فقد ملأتها الدنايا والخطايا ففي كل يوم يكون حالها أسوء من قبله يقول .

يـــا قلـــب خـــف عليـــك خزنـــا واصـــبر فللصـــبر طيـــب منجـــى
هبك ملكت البلاد جمعا دنيا غدت ألســـت تبلـــى ألســـت تفنـــى
كلهـــــــــــا دنايـــــــــــا فكـــل يـــوم تكـــون ادنـــى [٢٠]

يعول الشاعر إلى نفسه بالصبر عن المحن ، فان قل النصير والمعين ، فان الصبر خير ناصر له ، وهو مفتاح الفرج عن الخطوب ، فيذم الشاعر الدنيا فلا يجد فيها سوى الدنايا وقلة العمل الصالح الذي ينفع الناس ، فكلما يمر يوم تدنوا أكثر ، ووصل الشاعر الى هذه الحالة بسبب ما يجده من تعامل الناس فابتعدوا عن إعانة بعضهم بعضها وهمهم سوى التنكيل بالآخرين والسعي إلى إلحاق الأذى بهم وترك نصرتهم .

وقد تكون العلاقة بين الشاعر والحاكم متذبذبة ما بين مد وجزر . فهنا الشاعر الطغرائي (ت ٥١٥ هـ) بعد ان كان نائباً في ديوان الطغراء ، لم يدم له عزه هذا ، فقد بدأ الحاسدون يسعون به ، واشتدت عليه السعايات ، فحُدَّ نفوذه وكسف جاهه ، وهم بالاعتزال لولا ولعه بالمنصب ولولا أمله بتغير الأحوال ، لكن الحال لم يتغير إذ ((حل به خطب عظيم فقد عزل وعلاه من دونه ، وتنكر له أصدقاؤه ، وثقلت عليه الإقامة ببغداد فنظم قصيدتين هما من خير ما قال ، امتزج فيها الواقع بالمثال ، والعقل بالقلب ، والحكمة بالطيش ، والحرب بالسلم ، والطموح بالقناعة ، والتواضع بالكبرياء)) .[٢١] والقصيدتان هما اللامية المشهورة يقول فيها .

أصـــالةَ الـــرأي صـــانتْني عـــن الخَطَـــلِ وحِليـــةَ الفضـــلِ زانتنـــي لـــدَى العَطَـــلِ
مجـــدي أخيـــراً ومجـــدِي أوّلاً شَـــرَعٌ والشـــمسُ رأْدَ الضُـــحَى كالشـــمسِ فـــي الطَفَـــلِ
فـــيمَ الإقامُـــةُ بـــالزوراءِ لا سَـــكَني بهـــا ولا نـــاقتي فيهـــا ولا جَملـــي
فـــلا صـــديقَ إليـــه مشـــتكَى حزَنـــي ولا أنـــيسَ إليـــه منتَهـــى جـــذلي
طالَ اغترابيَ حتى حنَّ راحلتـي أُريدُ ورحْلهـا وقـرَى العَسَّـالةِ الـذُّبلِ علـى
بســـطةَ كَـــفٍ أســـتعينُ بهـــا قضـــاءِ حُقـــوقٍ للعُلَـــى قِبَلـــي
والـــدهرُ يعكِـــسُ آمـــالِي ويُقْنِعُنـــي مـــن الغنيمـــةِ بعـــدَ الكَـــدِّ بالقَفَـــلِ [٢٢]

يفتخر الطغرائي باصله وبفضله ومجده ، وليس لاحد ان يكذبه في دعواه وهو الذي بلغ في عصره المنزلة المرموقه علماً وادباً وسياسة ، ونسبه يرجع الى ((اصل عربي من عائلة شريفة مجيدة من ولد ابي الاسود الدؤلي)) .[٢٣] جاء من اصفهان الى بغداد ، الا ان الاقامة فيها امر مستحيل في قوله ((فيم الاقامة بالزوراء)) نجد فيها الاسى شديداً وعتاباً للنفس مراً ، صدر من أعماق نفس متالمة وغير راضية عن اقامتها في بغداد ، فليس للشاعر في مدينة السلام من اهل ولا عمل بعد عزله ولا مال ولا حتى صديق يعينه على محنته ، فقد طال اغترابه واشتد حنينه بالعودة الى دياره وموطن ولادته ، فكان يستنجد ويستصرخ فلا من مجيب فالكل تخلى عنه

في بغداد ، فكان هدفه في ان يجد السمو والعلو فلم يدم له ذلك فقد عكس عليه الدهر بعد كل التعب وقفل عليه بابه .

مَلِلْـــتُ ثَـــوائي بـــالعراقِ وملّنـــي ... رفـــاقي وكـــانوا بـــالعراق طِرابَـــا
وفَـارقَنِي أهـلُ الصَّـفاءِ تبرُّمـاً فـلا ... بشَـحْطِ نـوىً شـابوا عليـه وشَـابَا
زائـــرٌ يَغشَـــى جنـــابي لحاجـــةٍ ... ولا أنـــا أغشَـــى مـــا أقمـــتُ جَنابَـــا
بنـو الغَـدْرِ لمـا فـتَّشَ البحـثُ عـنهم ... أراكَ وميضَـــاً خُلَّبـــاً وسَـــرابَا

اما قصيدته البائية فلم تقل عنها في الاعراب عما يجول في خاطره ، وما اختلج في ذلك القلب الجريح من الم وسخط مطلعها .

أهـــابَ بـــه داعـــي الهَـــوى فأجابـــا ... وعـــاودَهُ نكـــسُ الصّـــبَا فتصَـــابَى

وفيها استصراخ وثورة على العراق واهله . في قوله .

ويعاتب الخليفة في قوله .

فيـــا عجبـــاً حتـــى الخلافـــةَ مـــا رأتْ ... لحقَّـــيَ أن أجْـــزَى بـــه وأثَابَـــا
ولـم تَـرْعَ لـي نُصْـحِي القـديمَ وخـدمتي ... أخـــوضُ غِمـــاراً أو أروضُ صِـــعابَا
لَعمـــري لَقَـــدْ ماحضـــتُها النُّصـــحَ بـــاذِلاً ... لوُســـعي وقَـــد رُدَّتْ إلـــيَّ منابَـــا [٢٤]

فالأبيات واضحة وصريحة في التعبير على مدى صلة الشاعر بالخلافة ، وشدة هذه الصلة بينهما وكيف كان حال الشاعر في خدمة الخليفة ، فيتعجب من الخليفة كيف تنكر حقه ولم ينصفه ، ونسى الخليفة ما قدمه الشاعر من خدمات جليلة من صدق ووفاء لخدمة دار الخلافة ، إلا أن دوام الحال من المحال ، فلم ينجو الشاعر من تقلبات الدهر ولم يجد له من معين .

ويعاتب الشاعر ابن المقرب العيوني (ت ٦٣٠ هـ) ، الأمير أبا القاسم مسعود ، فيذكر أفعالاً جرت منه على أهل بيته ، فيتوجع منها وتبدو عليه الحسرة والأسى من ذلك العمل الذي قام به الأمير ، فبدلاً من أن يكون عوناً لهم صار سيفه مسلطاً عليهم فيعاتبه عتاباً شديداً يقول .

بَعـضُ الّـذي نالَنـا يـا دَهـرُ يَكفينـا ... فَـامنُن بِبُقيـا وَأودِعهـا يَـداً فِينـا
إن كـانَ شَـأنُكَ إرضـاءَ العَـدُوِّ بِنـا ... فَـدُونَ هَـذا بِـهِ يَرضـى مُعادينـا
فَالحَمـدُ لِلّهِ حَمـداً لا نفـادَ لَـهُ ... إذ لَـم يَكُـن ضَـعفُنا إلّا بِأَيـدِينا
خافَـت بَنُـو عَمِّنـا أَمـراً يُعاجِلُنـا ... مِـن قَبـلِ إلحـاقِ تالينـا بِماضـينا
وَاِسـتَيقَنَت أَنَّ كُـلَّ المُلـكِ مُنتَـزَعٌ ... وَلَـو تَمَكَّـثَ فـي أَربابِـهِ حِينـا
وَحـاذَرت دَولَـةً فـي عَقـبِ دَولَتِهـا ... تَـأتي سَـريعاً فَتُلقِـي سُـمَّها فِينـا [٢٥]

وكان للملك الناصر داود بن عيسى الأيوبي ، عتاب ٌعلى أبناء عمومته وكيف تحالفوا عليه من كل حدب وصوب للقضاء عليه ، فاستنجد بعضهم ببعض في سبيل هلاكه ، فاستجار بالله ولاذ به ونظم أبياتاً مفرغة في قالب الدعاء منضدة في سلك المناجاة ، متضرعاً للباري (ﷻ) الى من يجيب المضطر اذا دعاه يقول

أيـــا ربِّ انَّ الأقربـــاءَ تباعـــدوا ... وعُوملْـــت مـــنهم بالقطيعـــةِ والهَجـــرِ
وقُطّعـــتِ الأرحـــامُ بينـــي وبينـــهم ... وجُوزيـــتُ عـــن عُـــرفِ الصّـــنائعِ بـــالنُّكرِ
وأغلـــقَ دونـــي بابـــهُ كـــلُّ صـــاحبٍ ... فتحـــتُ لـــه بـــابي وأدخلتـــهُ خِـــدري
تَخيرَّتـــهُ مـــنهم ليـــومِ مســـاءتي ... وأعدَدتـــهُ فـــي كـــلِّ نائبـــةٍ ذُخـــرِي
فخانُ عهودي اذ وفيتُ بعهدهِ ... وأنت وشحَّ برِفدي اذ بذلتُ لـه وَفري وعالمُ
بمـــرأىً يـــا الهـــي ومســـمعٍ ... مكنـــونِ الســـرائرِ والجهـــرِ
أجرنـــيَ مِـــن بـــاغٍ علـــيَّ بمالـــهِ ... ومعقلـــهِ المحفـــوفِ بالعســـكرِ المَجـــرِ [٢٦]

أما الشاعر أسامة بن منقذ فيأخذه القلق على أخيه نجم الدين ، وقد وقع أسيراً عند الصليبيين . فيرسل رسالة إلى عمه الأمير محمد بن سلطان بن منقذ ، يستيعنه ويستنجد به في فك اسر اخيه . ويحثه على المبادرة بافتدائه يقول .

يا ناصرَ الدّينِ يا أبنَ الأكرمين ومَن ... يُغني نَدَى كفّه عن وابِل الدّيَمِ
هذا ابنُ عمّكَ في أسرِ الفِرَنجِ له ... حولٌ تجرَّم في الأغْلاَلِ والظُّلَمِ
يدعُوكَ لا بل أنا الدّاعِي نداكَ له ... يا خيرَ من عَلقَتْهُ كفُّ معتصمِ
وأنت أكرمُ مَن تَثْنَيه عاطفةُ الـ ... قُربَى ويرجوه للجُلَّى ذُوَو الرَّحِمِ
ومَن تكنْ أنتَ مولاهُ وناصرَهُ ... فكيف تسطو عليه كفُّ مهتضِمِ
أنا ابنُ عمّكَ فاجعلني بفكِّ أخي ... من أسرِه لك عبداً ما مشتْ قَدَمِي (٢٧)

وهناك قصيدة النواحة للشاعر المهذب بن الزبير الاسواني (ت ٥٦١ هـ) التي نظمها وأرسلها إلى داعي اليمن الفاطمي يستعطفه ويستنجده لإطلاق سراح أخيه القاضي الرشيد ، الذي قيل انه كان يدعي بالخلافة لنفسه ، فكان ((أجود ما قيل في الاستعطاف ومن احسن وارق علاقة الشقيق بالشقيق)) . (٢٨)
مطلعها .

يا ربع أين ترى الأحبة يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أم أتهموا

ويقول .

ما كان بعد أخي الذي فارقته ... ليبوح إلا بالشكاية لي فم
هو ذاك لم يملك علاه مالك ... كلا ولا وجدي عليه متمم

ثم يصل الى الاستعطاف .

أثني عليك بما مننت وأين من ... أوصاف مجدك يا مليكا أعظم
فاغفر لي التقصير فيه وعده مع ... مع ما تجود به علي وتنعم
أنني سيرت فيك شواردا ... كالدر بل أبهى لدى من يفهم (٢٩)

فلما وصلت هذه القصيدة إلى داعي اليمن ، عفا عنه وردَّ إليه حريته ، والأبيات تعبر عن عاطفة الحب الملتاعة وانه لن ينسى احباءه ابدا نزلوا نجدا او نزلوا تهامة فالوحشة منهم تلذع روحه . فاشتهرت القصيدة بغزلها وما يرمز فيه من لهفة على أخيه . (٣٠)

وهناك من القادة من كان له الدور الكبير بتطهير المجتمع من الإمراض والآفات التي لحقت به ، نتيجة تردي الأوضاع السياسية والحروب . فقد أجرى صلاح الدين كثيراً من الإصلاحات الاجتماعية . فقد ضبط الأمور وقطع الأيدي وعاقب المسيئين . فانتشر الأمان وعاش الناس في كنفه بسلام لا يأكل فيه القوي الضعيف ، يقول عرقلة الكلبي في ذلك .

رويدَكُمُ يا لُصوصَ الشآم ... فإني لكم ناصحٌ في المَقال
وإياكمُ من سمّي النبيّ فذاك ... يوسُفَ ربِّ الحِجا والجمال
يقطِّع أيدي النساءِ ... وهذا يقطع أيدي الرجال (٣١)

فهنا يحذر اللصوص اشد تحذير ويخوفهم من القائد الذي يحمي حقوق الناس فلا يعتدي احدُ عليها ، ولا يمكن لأحد منكم العبث بأموال المسلمين او يسرقها ، فأن مصيره آيل إلى قطع يده وذلك بما أمر به الله تعالى من عقوبة حد السرقة ، فقد أقام السلطان شرع الله في أرضه ، فالتشبيه حصل البيت الأخير بين النبي يوسف الصديق والسلطان الناصر صلاح الدين فكلاهما يحمل الاسم نفسه ، إلا أن التشبيه متفق بالهيئة مختلف بالمعنى ، فنبي الله يوسف (عليه السلام) ، كان حسن الشكل جميل المنظر ولشدته جماله ، قامت النسوة بتقطعن أيدهن انبهاراً بهذا الحسن والجمال

الرائع الذي فقدهن السيطرة على ما فعلنه بأنفسهن ، أما السلطان يوسف (صلاح الدين) فما قام به من تقطيع أيدي الرجال أقامت حدود الله والالتزام بشرعة ، ونصرة الحق والدفاع عن المظلومين .

وقد عانت بعض المجتمعات من الضرائب الجائرة التي أتعبت كاهله ، فكان الناس يتوقون دوماً للتخلص منها ويستجيرون من ظلمها ، عسى ان ياتي احد لينقذهم منها ، فجاء من يسمع شكواهم ويلبي مطلبهم ، اذ ((ألغى نور الدين زنكي الضرائب والمكوس والرسوم وسائر الاعمال والمظالم الاخرى)) .[٣٢] وقد اشاد ابن القيسراني الى هذا العمل النبيل وتخليص الناس من هذه الضرائب الثقيلة الملقاة عليهم يقول .

تـــدارك ملـــة العربـــي ذبـــا ... إلـــى أن عـــده منـــه معـــد
ثنى يده عن الدنيا عفافا ... رأى حط و مـــال بهـــا عـــن الأمـــوال زهـــد
المكـــوس عـــن الرعايـــا ... فأهـــدر قبـــل مـــا أنشـــاه بعـــد [٣٣]

وسار من بعده صلاح الدين على درب العدالة الاجتماعية . فرفع ضريبة الحج عن حجاج المغرب العربي ، عندما وصف الرحالة ابن جبير حالة حجاج المغرب وأوضح معاناتهم وما يلاقونه من تعنيف واضطهاد وكأنهم أسرى فقال مخاطباً السلطان يوم رفع عنهم هذه الضريبة .

رفعـــت مغـــارم اهـــل الحجـــاز ... بإنعامـــك الشـــامل الهـــامر
وأمنـــت أكنـــاف تلـــك الـــبلاد ... فهـــان الســـبيل علـــى العـــابر
وســـحب أياديـــك فياضـــة ... علـــى وارد وعلـــى صـــادر
فكـــم لـــك بالشـــرق مـــن حامـــد ... وكـــم لـــك بـــالغرب مـــن شـــاكر
وكم بالدعاء لكم كل عام ... يعنف حجاج ويسطو بهم سطوة الجائر ويسطو بهم
بيـــــــت الإلـــــــه ... ســـــــطوة الجـــــــائر
وقـــد وقفـــوا بعـــدما كوشـــفوا ... كـــأنهم فـــي يـــد الآســـر [٣٤]

إليـك صـلاحَ الـدين مـولاي أشـتكي ... زمانـاً علـى الحُـرِّ الكـريم يجـورُ
تُـرى أُبْصِـرُ الأَلـف التـي كنـت واعـدي ... بهـا فـي يـدي قبـل الممـات تصـير
وهيْهـاتَ والإفـرنجُ بينـي وبينـكم ... سِـياجٌ، قتيـلٌ دونـه وأَسـيرُ
ومـن عجـبِ الأَيّـام أَنـك ذو غِنـىً ... بمصـر، وأنـي فـي دمشـق فقيـر [٣٧]

لم يقف الشاعر متفرجاً على مثل تلك المعاناة بل حمل على عاتقه معاناة مجتمعه وعبر عنها بصدق المشاعر ، اما بقصائد يثني على حاكم عادل ينصف مجتمعه ، واما ينتقد حاكم يجور على مجتمعه . فكانت ((هناك أنماط أخرى من الضرائب والمكوس)) .[٣٥] قادت بعض الشعراء إلى فقد صبرهم وعبروا بعنف وضجر عن رفضهم إقرارها وتطبقيها ، فهناك الشاعر ابن عنين (ت ٦٣٠ هـ) الناقد الكبير لكثير من مظاهر الحياة اليومية ، يعبر عن آلام أبناء مجتمعه الذي ينتمي إليه ، فلم ينس يوماً دوره في انتقاد ما يظنه يحتاج النقد فلم يمتنع عن نقد الملك العادل الأيوبي . إن قصر بتحسين الأحوال الاجتماعية للناس يقول فيه .

إِنَّ سُـــلطانَنا الّـــذي نَرتَجيـــهِ ... واسِـــعُ المـــالِ ضَـــيِّقُ الإِنفـــاقِ
هُـــوَ سَـــيفٌ كَمـــا يُقـــالُ وَلكِـــن ... قـــاطِعٌ لِلرُّســـومِ وَالأَرزاقِ [٣٦]

إن سوء الحالة الاقتصادية عند كثير من الشعراء دفعتهم الى ان يشكو حالهم وحال أسرهم ، فنجد الشاعر عرقلة الكلبي يشتكي السلطان صلاح الدين حين وعده بالف دينار ان تمكن من السيطرة على مصر ، فلما أتم له ذلك قام الشاعر يطالبه بوعده يقول .

وهنا يشير الشاعر الى انه كيف يعاني الفقر وقد اخذ منه كل مأخذ فهو لا يحتمل هذه الحالة البائسة التي يعاني منها والعوز الذي يحيط به من كل جانب ، فيخاطب السلطان مرة أخرى يذكره بوعده وعليه الإسراع في تنفيذه تكرماً ، لان حالته عسيرة جداً ويجب عليه إسعافه في اقرب وقت فنراه يستغيثه ويستنجد به ملحاً على قوله .

ومن غريب الأمر ، ان السلطان صلاح الدين بعث اليه بالفي دينار ، وحين أعطي الهبة مات فجأة دون ان يستفيد من هذه الهبة السنية التي طالما تاقت لها نفسه وتحلب ريقه .[٣٩] وان دلَّ على شيء إنما يدلُّ على مدى قساوة الفقر الذي كان يعيشه ، فلم يتحمل صدمة الهبة التي جاءته والمال الوفير الذي سيحصل عليه فلم يتمالك نفسه فمات في ساعته .

أما الشاعر البوصيري يصور حاله خير تصوير وتحدث عن أسرته بشكل عام ، في قصيدة خص بها بهاء الدين حنا ، وقد مزجها بالمدح ، وقد جاء في مدحه هذا وهو يصف شقاءه وسوء حال أولاده ، عسى ان يكون له خير معين ومنجد يقول .

يـا أيهـا المـولى الـوزير الـذي ... أيامـــــه طايعـــــة أمـــــره
إليـــك نشـــكو حالنـــا إننـــا ... حاشـــاك مـــن قـــوم أولـــي عســـره
فـــي قلـــة نحـــن ولكـــن لنـــا ... عايلـــة فـــي غايـــة الكثـــرة
أحـــدث المـــولى الحـــديث الـــذي ... جـــرى علـــيهم بـــالخيط والإبـــرة
صاموا مع النـاس ولكنهم إن ... كانوا لمن يبصرهم عبره ما برحت
شـــربوا فـــالبئر زيـــر لهـــم ... والشـــــــربة الجـــــــره
وأقبـــل العيـــد ومـــا عنـــدهم ... قمـــح ولا خبـــز ولا فطـــره [٤٠]

فالقصيدة طويلة يشخص معاناة أسرته تشخيصاً دقيقاً ، يكاد القلب يتفطر من الأسى عند سماعها ، فالشاعر وصل إلى حالة اليأس والبؤس لما يعانيه من ضيق الحاجة فلا يكاد يجد في بيته شيئاً يأكله أو يطعم عياله . فنجده يستعطف الوزير ويتوسل إليه في مد يد العون له ((ومع أن الروح التهكمية تغلب على كثير من مقاطع القصيدة ، إلا أن الشاعر غالبه الحزن والأسى وهو يتحدث عن أطفاله الذين يستقبلون العيد وهو لا يملك شيئاً يقدمه لهم ليدخل الفرحة في قلوبهم ، ثم ينقل الشاعر صوراً لهؤلاء الأطفال الذين يرون أبناء الأغنياء يحملون الكعك في أيديهم ، فتشخص إليه أبصارهم ويرسلون الشهقة تتبعها زفرة ، وفلا لا يجد الشاعر إلا الشكوى والحسرة))[٤١].

وحين قصد الشاعر ابن الدهان (ت ٥٨١ هـ) مصر ، مدح طلائع بن رزيك بعد ان ضاقت به الحال في الموصل بقصيدته المشهورة يقول .

أمـــا كفـــاك تلاقـــي فـــي تلاقيكـــا ... ولســـــت تـــــنقم الا فـــــرط حبيكـــــا
وفيم تغضب إن قال الوشاة سلا لا ... وانـــت تعلـــم إنـــي لســـت اســـلوكا
نلـت وصـلك إن كـان الـذي زعمـوا ... ولا شـفا ظلمـائي جـود أبـن رزيكـا [٤٢]

ولما وصل مصر ، لم يستطع اصطحاب زوجته معه ، فكتب إلى الشريف نقيب العلويين في الموصل ، أبياتاً يستعينه بها على سفره ، فتكفل الشريف لزوجته بجميع ما تحتاج اليه ، مدة غيابه عنها والأبيات هي .

قـل للصّـلاح مُعينـي عنـد إعسـاري ... يـا أَلـف مـولاي أيـن الأَلـفُ دينـار
أَخشـى مـن الأَسْـر إن حاولـت أَرضـكم ... ومـا تفـي جَنّـة الفـردوس بالنّـار
فجُدْ بها عاضديّات مُسطَّرَةً حُمراً ... مـنْ بعـض مـا خلـف الطـاغي أَبـو العـار
كأَســـيافكم غُـــرّاً كخـــيلكمُ ... عُتْقـاً ثِقـالاً كأَعـدائي وأَطمـاري [٣٨]

وذات شـــجوٍ أســـال البـــين عبرتهـــا باتـــت تؤمـــل بالتفنيـــد إمســـاكي
لجـــت فلمـــا رأتنـــي لا أصـــيخ لهـــا بكـــت فـــأقرح قلبـــي جفنهـــا البـــاكي (٤٣)

ويقصد الشاب الظريف احد أمراء الحكم في الشام لينال عطاءه فيقول فيه .
الشاعر عمد على التكسب بالمديح ونشير إلى أن ((التكسب غير المديح ، وان كان أكثر التكسب بالمديح ، والمديح معناه الأصيل : ثناء دافعه الحقيقي الإعجاب بالصفات العظيمة والطيبة الحسنة للممدوح وهو دليل على تقدير الفضل لذاته ، والدافع إلى المديح شانه شان الدافع إلى النسيب والغزل ، والدافع إلى الرثاء ، والدافع إلى الهجاء ... من حيث الفن ، أما التكسب فدافعه الرغبة في المال وهو دافع لا صلة له في طبيعته بالفن)) . (٤٥)
والشاعر سليمان بن بنيمان الاربلي . يوصي الفقراء بان يلوذوا بالوزير ابن المستوفي فهو كريم وشجاع ويدافع عن كل من يستجير به ويستنجده . وهو جواد لا يمل من العطايا فيصفه كالسحاب في قوله .

فلـــذ بحمـــى ابـــن موهـــوب المرجـــى ابـــي البركـــات ذي الطـــول العمـــيم
حمـــى ينجيـــك مـــن صـــرف الليـــالي ويـــدفع حـــادث الخطـــب الجســـيم
جـــوادُ لا يمـــل مـــن العطايـــا ســـحابُ نـــداه مرتجـــز الغيـــوم (٤٦)

ان ((بشيوع ظاهرة التكسب بالشعر ، يكون الشعر العربي عموماً ، قد انصب في مجرى ظل يلازمه حتى عصور متاخرة ، اضر بنقائه ، وبقيمته الفنية ، وأضاع كثيراً من القدرات الإبداعية للشعراء في كلام لا طائل وراءه)) . (٤٧)

يـــا شـــرف الـــدين الجـــواد الـــذي يمنـــاه بـــالمعروف معروفـــة
ومن له نفس على كل انـ عبدك ـنواع الثقى والبر موقوفة هامته
لا شيْ على راسه وهو على فـــي الحكـــم مكشـــوفة
قَالُوا الثَّنَاءُ يَرِينُهُ فَاعْمَدْ إِلَى فَحَرَجْتُ ظِـلِّ ابْـنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ الْمَمْـدُودِ (٤٨)
أُظْهِرُ هِمَّتِي ومحبَّتِي وسريتُ مُدَّلجاً ومطيَّتي ومَقاصدي وقَصيدي والشّوْقُ يُدْني
إليـهِ ومـدلِجاً لا وَعْـرُ أَهْـلِ الشّـام مِنْـــهُ كُـــلَّ بَعِيـــد
يُبْعِـــــــــــــــــدنيَ وَلاَ الرَّمْـــلُ المِديـــدُ ولا اتِّسَـــاعُ البيـــد (٤٤)

فنجد الشاعر ابن الظهير الاربلي ، يستجدي من الوزير ابن المستوفي نوعاً من الدثار ، بعد ان يصفه بالكرم والجود . يقول .
ويبدو ان حالة المطالبة والسؤال كانت شائعة بقوة عند بعض الشعراء في هذه المدة ، وهذا يدلل على أنهم كانوا يعيشون في ضائقة مالية لا يمكن تحملها ، فنرى التلعفري يلح على الملك الاشرف فيقول .

لـــم ازل مكثـــراً عليـــه الســـؤالا وجوابـــاً مـــا عنـــده لـــي ســـوى لا (٤٩)

ويشكو سبط بن التعاويذي قلة معيشته الى مجد الدين ، ويستجير به من خطوب الزمان . ويطلب منه الإصغاء الى دعائه وان يجود اليه بكرمه . فيجعل منه الكفيل عليه بالرزق ، وعنده الشفاء من كل إمراضه ، فهو ذخره عن الشدائد ومنقذه من المحن يقول .

أَيـــا مَـــولايَ مَجـــدَ الـــدينِ يـــا مَـــن إِلَيـــهِ وَمنـــهُ بَثّـــي وَاِشـــتِكائي
دَعَوتُكَ مُستَجيراً مِن زَماني أَتَنساني بِجودِ يدَيكَ فَاصغُ إِلى دُعائي وَعِندَكَ
وَأَنتَ كَفيلُ رِزقي وَرَأيُكَ عُدَّتي لِغَدي إِن مَرِضتُ شِفاءُ دائي وَذُخري في الشَدائِد
وَيـــــــــــــــــــومي وَالرَخـــــــــــــــــــاءِ (٥٠)

وهناك عدد من الشاعر من كانت له مهنة غير الشعر والتكسب به ، فالشاعر ابو الحسين الجزار ، كان يعمل جزاراً وهي المهنة التي اشتهر بها وانتسب اليها ، فهو من الشعراء الذين اشتغلوا بمهنة بسيطة ، بعد ان مل الاستجداء بالشعر ، فقد أورثته مهنة الادب الفقر والخمول ، ولم تف بمطالب حياته اليومية ، فحن الى الجزارة فرجع اليها بعد ان كان يقصد الحكام الاتراك ورجال الدولة فلا يجد منهم معيناً ولا يجد منهم أي تقدير لعدم فهمهم للشعر وتجاهلهم له . يقول .

وكـــم قابلـــت تركيـــا بمـــدحي فكـــاد لمـــا أحـــاول منـــه يحنـــق [٥١]

بل انه يئس من الفوز بخيرهم ، يقول

أكلـــف نفســـي كـــل يـــوم وليلـــة شـــروراً علـــى مـــن لا أفـــوز بخيـــره
كمـــا ســـود القصـــار بالشـــمس وجهـــه ليجهـد فـي تبيـيض أثـواب غيـره [٥٢]

وهكذا ساءت حالته في عهد المماليك ، وكسد الشعر في بلاطهم لأنهم ((أعاجم لا يفهمون الشعر وإذا فهموه لا يتذوقونه ، ومن ثم لا يولونه اهتماماً او رعاية ولا يثبون عليه كما كان العرب خلفاء وأمراء يرعونه ، لأنه كان يجري في دمائهم سليقة)) . [٥٣] أذا ما علمنا أن كثيراً من الحكام والأمراء العرب كانوا يقولون الشعر ، وحتى الأمراء والسلاطين من الأيوبيين كانوا يحبون الشعر ونبغ منهم شعراء منهم على سبيل المثال الملك الأمجد الأيوبي ، إلا أن الحال اختلف عند المماليك ، فبعد أن يأس الشاعر منهم ، قام يشكو أمره إلى الله ، وعدم الرضا بالواقع المرير ، فيصل به الحال إلى انه يتمنى لو لم يكن جزاراً ولا شاعراً يقول .

فحاله يرثى لها من ضنك العيش فلا نفعه شعره ولا نفعته مهنته ، سوى أن يعود إلى الله فهو حسبه ولا معين له غيره . فقد سدت جميع الأبواب بوجه إلا باب الله يمد شكواه إليه .

ويذهب ابن دانيال وقد كان صديق الجزار إلى ما ذهب اليه صديقه من عسر الحال والفقر الذي كان يشكوه في ومصر والحياة الاجتماعية المتردية ، فيصورها في احدى صورة الشعرية التي تحاكي الحياة العامة في مصر ، يقول .

أصـبحت أفقـر مـن يـروح ويغتـدي مـا فـي يـدي مـن فاقـة إلا يـدي
فـي منـزل لـم يحـو غيـري قاعـداً فـإذا رقـدت رقـدت غيـر ممـدد
لـم يبـق فيـه سـوى رسـوم حصـيرة ومخـدة كانـت لأم المهتـدي
ملقـى علـى طراحـة فـي حشـوها قمـل كمثـل السمسـم المتبـدد
والفـأر يـركض كـالخيول تسـابقت مـن كـل جـرداء الأديـم وأجـرد
هـذا ولـي ثـوب تـراه مرقعـاً مـن كـل لـون مثـل ريـش الهدهـد [٥٥]

فالشاعر يسخر من داره . فإنها لا تصلح أن تكون بيتاً فتراها خاوية وضيقة ولا يستطيع حتى ان يبسط رجليه فيها ، فعليه أن يقيم فيها قاعداً ، اما القمل والفار فقد اخذ منها كل مأخذ فتراه يصول ويجول فيها ، اما ثوبه فيصفه كريش الهدهد لكثرة ألوانه بسبب الترقيع .

إن قول الشعراء ونظمهم الشعر بهذه الطريقة الساخرة وروح الفكاهة لم يكن اعتباطياً أو لمجرد التسلية واللهو ، أنما هو في حقيقة الأمر ينقل لنا واقع المجتمع المرير والفقر واليأس الذي

أصبحت فـي أمـري ولا ولكـم أشـــكو لغيـــر الله حـــائر
يذكرني الشتا واللحم يقبح ء بامره ولكم اكاسر د لبيعه
ان اعـو يـاليتني لا كنـت جز والشـعر بـائر زارا ولا اصبحت
شـــــــــــــــــاعر [٥٤]

يخيم عليهم وخصوصاً في حكم المماليك ، فالشاعر يبث ما يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس بكل الأساليب عسى من يسمع شكواه ويمد له يد العون ، لينقذه من الحال التي آل إليها فيه صرخة واستغاثة واستنجاد على أمل أن تجد لها أذانُ مصغية .

أما ما زاد من عبءُ المجتمع والعامة من الناس . حدوث الكوارث الطبيعية فقد ((لعبت الكوارث الطبيعية دورها الكبير في زيادة الام العامة وأضافت إلى معاناتهم أعباء أخرى وكانت تلقي بنتائجها السلبية على الحالة الاجتماعية آنذاك وتؤثر تأثيراً بالغاً في نمو المجتمع ورفاهيته . فكثرت الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات من جانب ، وقلة مياه الأنهار كالنيل في مصر مرات عدة ، ورافق ذلك انحسار الغيث من جانب أخر ، فقلت الأرزاق وارتفعت الأسعار ونتج عن ذلك مجاعات ألمت العامة)) .[٥٦]

ولم يقف الشعراء بمنظر المتفرج بل اخذوا على عاتقهم ان يقوموا بدورهم في تطمين نفوس العامة في أن تكون أستعانهم بالله فهو خير ناصر وخير معين . ويدعوهم إلى الصبر والمصابرة والمجالدة . فان بعد كل ضيق فرج . يقول الشاعر عبد الله بن عمر الاربلي (ت ٦٣٤ هـ) .

اذا ضامك الدهر في قسمة ... فصبراً على ذلك القسم صبرا
فلا القسم باق عليك المدى ... ولو شئت ذلك ما استطعت قدرا
فبينا ترى المرد في ضيق امرٍ ... ترى فرج الله ياتيه امرا [٥٧]

وعمت بلاد الشام زلازل شديدة في مدن مختلفة ، فزهقت الأرواح وخربت المباني وأنهكت القوى وأتلفت المزروعات وازداد الفقر وارتفعت الأسعار ارتفاعاً شديداً .[٥٨] وأعظم تلك الزلازل وأخطرها زلزلة شيرز سنة ٥٥٢ هـ . الذي دمر حصن شيرز .[٥٩] وحماة ، ولو لم يدرك العباد والبلاد رحمة الله تعالى ولطفه ورافته لكان الخطب افظع .[٦٠] وقد نظم في ذلك من قال .

ويذم الشاعر أسامة بن منقذ الزلزال لأنه فتك بأهله ، فلم يبق كهلاً ولا شاباً ولا ولداً ، يقول .

لقد شارك أسامة بن منقذ مصاب أهله الأليم ، وفي موقف آخر يفيض أسى وألما بعد زلزلة وقعت ٥٦٥ هـ . فهذا العماد الاصبهاني يصف الزلازل بعد أن حل بأهل الشام الفاجعة وهو يمدح السلطان نور الدين .

سطوةٌ زلزلتْ بسكُانها الأر ... ضَ وهَدَّتْ قواعدَ الأطوادِ [٦٣]

روعتنا زلازل حادثات ... هدمت بقضاء قضاه رب السماء
حصن شيزر وحماة ... وبلادا كثيرة أهلكت أهله بسوء القضاء
و حصونا ... وإذا ما قضى من الله وثغورا موثقات البناء سابق
أمر ... في عباده بالمضاء [٦١]

إن الكوارث الطبيعية تأثر على المجتمع تأثيراً كبيراً من حيث خراب الديار وإهلاك الأراضي . فلجأ الناس والشعراء إلى من يستنجدون به ليقوم بدوره في سبيل النهوض من جديد ، فتعالت صيحات الشعراء لتصل الحكام والأمراء ، لإعادة الوضع على ما عليه ومساعدتهم وتوفير لهم ما يحتاجون إليه . لان الشاعر يحاكي مجتمعه وهو لسانهم في إبلاغ ما تجيش به خواطرهم إلى أعلى سلطة يمكن ان تقوم بدورها على أكمل وجه ، فلم يخرج عن منظور الجانب

ويح الزلازل أفنت معشري فإذا ... لا التقي ذكرتهم خلتني في القوم سكرانا
الدهر من بعد الزلازل ما ... أخنت على حييت إلا كسير القلب حيرانا منهم
معشري الأدنين فاصطلمت ... لم يحمهم كهولا و شبانا وولدانا بأسا تناذره
حصنهم منها ولا رهبت ... الأقران أزمانا [٦٢]

الاجتماعي والاقتصادي ، فشاركهم أفراحهم وأتراحهم من سعادة وحزن .

الهوامش :

١- تاريخ الإسلام السياسي : ٤ / ٦٥٢
٢- الشعر العربي في العراق : ٤٩ .
٣- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .
٤- م . ن : ٢٢٥ .
٥- م . ن : ٢٧٨ .
٦- م . ن : ٢٧٧ .
٧- عصر السلاطين والمماليك : ٢١ .
٨- الشعر العربي في العراق : ٥١ .
٩- ديوان ابن المعلم الواسطي : مخطوطة ، ورقة ٩٨ .
١٠- الهرث : قرية على نهر جعفر من اعمال واسط ، ينظر معجم البلدان : ٥ / ٣٩٧ .
١١- ديوان ابن المعلم الواسطي : مخطوطة ، ورقة **٩٨** .
١٢- م ، ن : ورقة ٧٩ .
١٣- الشعر العربي في العراق : ١١٨ .
١٤- الكامل في التاريخ: ٩/ ٢١١ _ ٢١٣ . ينظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ١/ ٣٨٠ .
١٥- ديوان سبط بن التعاويذي : ٣٩٨ _ ٣٩٩ .
١٦- م . ن : ٢٣١ _ ٢٣٢ .
١٧- خريدة الشام : ٢ / ٢٤٦ .
١٨- م . ن : ٢ / ٢٤٦ .
١٩- ديوان الحاجري : ٣٦٤ .
٢٠- ديوان النشابي : ٣٣٧ .
٢١- الطغرائي حياته ، شعره: ٣٠ .
٢٢- م . ن : ٨٤ _ ٨٥ .
٢٣- ينظر البداية والنهاية : ١٢ / ١٩٠ ، تاريخ ابن الوردي : ٢/ ٣٠ .
٢٤- الطغرائي حياته ، شعره : ٣٠ _ ٣١ .
٢٥- ديوان ابن المقرب العيوني : ٢ / ١٠٦٦ .
٢٦- الفوائد الجلية : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .

٢٧- ديوان اسامة بن منقذ : ١٤٨ – ١٤٩ .
٢٨ - مصر الشاعرة في العصر الفاطمي : ٣٢٠ – ٣٢١ .
٢٩- معجم الأدباء : ٢٥/٣- ٢٨ .
٣٠- عصر الدول و الإمارات (مصر) : ١٩٨ – ١٩٩ .
٣١- ديوان عرقلة الكلبي : ٨٧ .
٣٢- الكواكب الدرية في السيرة النورية : ١٤٦ .
٣٣- شعر ابن القيسراني : ٦٥
٣٤- ديوان ابن جبير الاندلسي : ١١٢ .
٣٥- ينظر مضمار الحقائق وسر الخلائق : ١١٤ .
٣٦- ديوان ابن عنين : ٢٣٩ .
٣٧- ديوان عرقلة الكلبي : ٥٠ .
٣٨- م . ن : ٤٩ .
٣٩- م . ن : المقدمة ، ي .
٤٠- ديوان البوصيري : ١١٨ .
٤١- النزعة الاجتماعية في شعر البوصيري : ١٧٩ .
٤٢- ديوان ابن الدهان : ١٨٢ .
٤٣- م . ن : ٢١٩ – ٢٢٠ .
٤٤- ديوان الشاب الظريف : ١٣٤ .
٤٥- الابداع الشعري في النقد العربي الى نهاية القرن السابع الهجري : ١٢٢ .
٤٦- قلائد الجمان : ٣ / ٦٥ - ٦٩ .
٤٧- الابداع الشعري في النقد العربي الى نهاية القرن السابع الهجري : ١٢٢ .
٤٨- ديوان ابن الظهير الاربلي : ١٦٨ .
٤٩- ديوان التلعفري : ٢٨ .
٥٠- ديوان سبط بن التعاويذي : ١٣ .
٥١- شعر الجزار : ٢٧ .
٥٢- م . ن : ٢٧ .
٥٣- الادب في العصر المملوكي : ٢ / ١٠٧ .
٥٤- شعر الجزار : ٣١ – ٣٢ .
٥٥- المختار من شعر أبن دانيال : ١٥٤ – ١٥٥ .
٥٦- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة : ٢ / ٧٦ .
٥٧- قلائد الجمان : ٣ / ٢٢٦ .
٥٨- شذرات الذهب : ٤ / ١٦٠ ،
٥٩ – شيزر : بتقديم الزاي على الراء وفتح أوله قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن ، معجم البلدان : ٣/ ٣٨٣ .
٦٠- الروضتين :١/ ٣٣٣ .
٦١- م . ن : ١/ ٣٣٣ – ٣٣٤ .
٦٢- ديوان اسامة بن منقذ : ٣٠٧ . ٣٠٨
٦٣- ديوان العماد : ١٢٦ .

المصادر والمراجع :

- الابداع الشعري في النقد العربي الى نهاية القرن السابع الهجري ، ثائر حسن جاسم ، دار الرائد العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٧٨ م .
- الادب في العصر المملوكي ، محمد زعلول سلام ، طبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٧١ .

- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، عز الدين ابي عبد الله محمد بن شداد (ت ٦٨٤ هـ) ، تحقيق : سامي الدهان ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٦ م .
- البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء المعروف بابن كثير ، مكتبة المعارف – بيروت
- تاريخ ابن الوردي ، تأليف: زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي (ت ٧٤٩) ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
- تاريخ الإسلام السياسي ، د . حسن ابراهيم حسن ، مطبعة السنة المحمدية ، ط١ ، ١٩٧٩ م .
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة ، المنسوب الى عبد الرزاق بن الفوطي (ت ٧٢٣ هـ) ، تحقيق د . مصطفى جواد ، مطبعة الفرات ، بغداد ، ١٣٥١ هـ

- خريدة القصر و جريدة العصر : العماد الاصبهاني الكاتب (ت ٥٩٧ هـ) . قسم شعراء الشام ، مطبوعات المجمع العلمي ، المطبعة الهاشمية – دمشق . تحقيق : شكري فيصل . الجزء الأول ١٩٥٥ ، الجزء الثاني ١٩٥٩ ، الجزء الثالث ١٩٦٤ ، بداية قسم شعراء الشام ١٩٦٨ م .
- ديوان ابن جبير الاندلسي ، جمع وتحقيق ودراسة : د. منجد مصطفى بهجت ، دار الرفاعي للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م .
- ديوان ابن الدهان ، ابو الفرج مهذب الدين عبد الله بن اسعد الموصلي (ت ٥٨١ هـ) ، تحقيق : عبد الله الجبوري ، مطبعة المعارف ، ط١ ، بغداد ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- ديوان ابن الظهير الاربلي ، تحقيق : د. ناظم رشيد ، دار الكتب للطباعة ، جامعة الموصل ، ١٩٨٨ م .
- ديوان ابن عنين ، ابي المحاسن شرف الدين محمد بن نصر الله ابن عنين (ت ٦٣٠) ، نشر وتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م .
- ديوان ابن المعلم الواسطي ، ابي الغنائم نجم الدين محمد بن علي بن فارس المعروف بابن المعلم الواسطي ، مخطوطة (نسخة مصورة عن النسخة الاصلية في المكتبة الظاهرية) .

- ديوان ابن المقرب العيوني وشرحه : علي بن المقرب بن منصور بن المقرب بن الحسن العيوني الاحسائي (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق د. احمد موسى الخطيب ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري ، ٢٠٠٢ م .
- ديوان اسامة بن منقذ ، حققه وقدم له د . احمد احمد بدوي ، وحامد عبد المجيد ، عالم الكتب .
- ديوان البوصيري ، شرف الدين ابو عبد الله محمد بن سعيد البوصيري (ت ٦٩٦ هـ) ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٥٥ م .
- ديوان التلعفري ، شهاب الدين محمد بن يوسف بن سعود التلعفري (ت ٦٧٥ هـ) ، تحقيق : د . رضا رجب ، دار الينابيع للطباعة والنشر ، ط٢ ، دمشق ، ٢٠٠٤ م .
- ديوان الحاجري ، دراسة وتحقيق : صاحب شنون ياسين الزبيدي ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب – جامعة بغداد ، ١٩٨٨ م .
- ديوان سبط بن التعاويذي ، ابي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف سبط بن التعاويذي ، تحقيق : د . س . مارجليوث ، مطبعة المقتطف ، مصر ، ١٩٠٣ م .
- ديوان الشاب الظريف ، شمس الدين محمد بن عفيف الدين سليمان التلمساني ، قدم له وشرحه د . صلاح الدين الهواري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م .
- ديوان عرقلة الكلبي ، حسان بن نمير (ت ٥٦٧) ، تحقيق احمد الجندي ، دار صادر ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ديوان العماد الاصبهاني ، جمعه وحققه . د. ناظم رشيد ، الموصل ، ١٩٨٣ م .

- ديوان النشابي ، مجد الدين اسعد بن ابراهيم بن الحسن الاربلي (ت ٦٥٦ هـ) دراسة وتحقيق . عبد الله محمود طه ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب _ جامعة الموصل ، ١٤٠٥ هـ _ ١٩٨٥ م .
- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، تحقيق : ابراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٧ م .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ، محمود الأرناؤوط ، دار بن كثير ، ط١، دمشق ، ١٤٠٦هـ .

- شعر ابن القيسراني ، ابو عبد الله محمد بن نصر بن صغير المعروف ابن القيسراني (ت ٥٤٨ هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة د . عادل جابر صالح محمد ، الوكالة العربية للتوزيع ، ط١ ، الزرقاء - الاردن ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م
- شعر ابي الحسين الجزار ، جمع وتحقيق : د. احمد عبد المجيد محمد خليفة ، مكتبة الاداب ، ط١ ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد (٥٤٧ هـ _ ٦٥٦ هـ) ، عبد الكريم توفيق العبود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٦ م .
- الطغرائي حياته ، شعره ، لاميته ، دراسة وتحليل : د . علي جواد الطاهر ، مكتبة النهضة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٦٣ م .
- عصر الدول والإمارات (مصر) ، د . شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٤ القاهرة .

- عصر السلاطين والمماليك ونتاجه العلمي والادبي ، د . محمود رزق سليم ، طار الحمامي للطباعة ، ط١ ، مصر ، ١٣٨٥ هـ ، ١٩٦٥ م .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ، تحقيق: الدكتور نزار رضا ، دار مكتبة الحياة – بيروت .

- الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية ، داود بن عيسى الايوبي (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق : د . ناظم رشيد ، مطبعة دار الشؤون التقافية العامة ، ط١ ، بغداد ، ١٩٩٢ م
- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان ، ابن الشعار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ) تحقيق . كامل سلمان الجبوري ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٥ .
- الكامل في التاريخ ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، تحقيق : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، ط٢، بيروت - ١٤١٥هـ .
- الكواكب الدرية في السيرة النبوية ، تقي الدين ابو بكر بن محمد بن قاضي شهبة ، تحقيق : د. محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، ١٩٧١ م .
- المختار من شعر أبن دانيال ، حققه وعلق عليه وأستدرك محمد نايف الدليمي ، مطبعة بسام ، الموصل ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م .
- مصر الشاعرة في العصر الفاطمي ، محمد عبد الغني حسن ، الهيئة المصرية العامة للكتب ، القاهرة ، ١٩٨٣ م .
- مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ، د. بكري شيخ امين ، دار الافاق الجديدة ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تأليف: محمد بن تقي الدين الايوبي ، تحقيق: الدكتور حسن حبشي ،عالم الكتب ، القاهرة .
- معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ،١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
- معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ابو عبد الله ، دار الفكر ، بيروت .